# مسألة الشعارات ومقتضيات الظرف الراهن

بقلم عزيز السيد جاسم

ان من المؤكد ان النكسة قد دفعتنا لاتخاذ موقف نقدي جـريء يستهدف اعادة النظر بكثير من المسائل وتسليط الضوء على الجوانب المعتمة والسلبية والمنحرفة في نطاق حياتنا الايديولوجي والسياسي . وهذه العملية ـ عملية اعادة النظر ـ هي غربلة كلية للمجاميع السياسية والمواقف والاشخاص ، وهي لا تعني بأي حال الانفلات من حالتنا غير الصحية قبل النكسة الى حالة غير صحية اخرى . بل انها تعني تشخيص عوامل الفشل والمرض والتخلف الحضاري لاجتثاثها نهائيا وزرع عوامل نشوء ثورية تحل محلها في الجسم العربي .

ومن اولى المسائل التي تولى الاهتمام الواعي الناقد مسألة ( الشعارات ) . اذ انها تشكل التسمية المحلية والعالمية لطبيعة الحركة الثورية ومجابهتها للتحديات الخارجية الضخمة المدعومة باحدث الامكانيات العلمية والتقنية والجسدية . فالشعارات عنوان للحركة وهي اسلوب وغاية ، ومن خلالها فحسب تتبدى مناعة او ضعف تلك الحركة ، لذلك فلا بد من دراسة جدية مستأنية يقوم بها الثوريون لتحديد طبيعة الشعارات ومرحلتها وحيويتها . والشعار هو تعبير مكثف يبلور الضرورة او الممكنات الابداعية البناءة ، او بمعنى اخر هو تلخيص ذكي ومركز وشديد الايجاز يستقطب مجموعة التطلعات والغايات والمشاريع قياسا مع المرحلة الزمنية المعنية . وهناك شعارات اجتماعية وشعارات اقتصادية وشعارات ثقافية . غير ان ما يهمنا الآن الشعارات السياسية على اعتبار انها تمثل جوهر قضيتنا الراهنة . والشعارات السياسية لا يمكن ان تطرح بلامبالاة او بكل سهولة لانها ان طرحت هكذا فانما تقود الى منزلقات خطيرة من المحتمل ان تودي بمستقبل شعب او جماعة . وانطلاقا من فهم حتمية المنزلق الذي ينتظر التعثرات المضطربة في اعلان الشعار لا بد من الاحاطة والالتزام بجملة من الشروط المدركة من خلال التجارب الثورية والتفقه النظري عند الحركات الثورية العديدة في هذا العالم .

فاولا : الشعار ليس مسألة حسية او حدسية لذا فهو لا يخضع للانفعال او التنبؤ بل هو اداة عقلية لا يرفعها الا اولئك الذين يمتلكون رصيدا فكريا ضخما ووعيا تأريخيا ناضجا . ومن هذه النقطة بالذات نستطيع اعتبار كل الشعارات الانفعالية لغة عصابية مدمرة لا يمكن ان يغفر لدعاتها ابدا .

ثانيا : ان كون الشعار اداة عقلية هو نصف الموضوع الذي لا يستغني عن النصف الآخر : ( الممارسة ) . فالشعار لا يمكن ان يرسم من قبل النظريين الايدلوجيين الذين يعيشون انعزالا عن العمل الثوري . لان ( النظري ) ينظر نظرة وحيدة الطرف وجانبية . اما النظرة الكلية ، نظرة الاحاطة فلا تتوفر الا عند من يقرن النظرية الثورية بالتطبيق الثوري . فهذا هو وحده الذي يمتلك النظرة الجدلية التي تستطيع شد الفكرة بالعمل حيث تتصلب الفكرة من خلال العمل فيتبلور الشعار ، وحيث يسترشد العمل بالفكر فينبثق الشعار مرة اخرى ويتم التوالد في الشعارات حسب مقتضيات الوضع والتغيرات الكمية التي تتفاقم عند اللحظة الحرجة .

ثالثا : والشعار لكونه يمثل دورا تحويليا خطيرا او مشيئة ثورية جريئة او ارهاصا بتبدلات معينة لا يمكن ان يكون مقصورا على الهيئات القيادية العليا بل ينبغي ان يناقش من قبل القواعد والهيئات المتفرعة من الكيانات السياسية ، فذلك يعطي للشعار اهميته الجماهيرية كما وان الشعار يتجرد من الفعالية التأريخية ان لم يمر بالجماهير صانعة الثورات . ويستثنى من ذلك في الحالات القصوى التخطيطات السرية المهياة من قبل القيادات عند المباغتة وقطع الطريق امام التوقعات، وتلك تمثل الشعارات المحدودة ذات الخاصية السرية جدا ( كالتي ينبغي ان تكون متوفرة عند القيادات العسكرية الثورية في استعداداتها ضد الصهاينة والامبرياليين حاليا ) .

هذه الشروط الثلاثة مفهومة مبدئيا لضمان وجود مشرعين اكفاء للشعارات . والآن ننتقل الى الشروط التي تخص الشعار نفسه ، اي ما يرتبط بطبيعته وثقله وقدرته .

اولا : الشعار هو نتاج فهم جدلي لطبيعة الاحتدامات والتناقضات القائمة . وهو كعمل غائي لا بد ان يعتمد على استقراء حازم ومشخص لكل مسارات الحركة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بحيث يكون الشعار التتمة الطبيعية ( والضرورية ) للوضع الآني . اي ان الشعار يرفع نفسه . وهذه النقطة مهمة جدا وأرجو ان لا تفسر بكونها دعوة الى العفوية الاستسلامية والانتظارية الاتكالية . بل هي وبالضبط تضمين لحقيقة التفجير . فالشعار مرتبط بالحركة الداخلية للمجتمع ولا يمكنه ابدا ان يتخطاها بشكل اعتباطي . ومتى ما كان الشعار غير ناضج وليس جوابا للاحتدامات القائمة فانه يظل مجرد لغو تهريجي تترتب عليه اضرار معينة . الشعار اذن الجواب الوحيد للتشابكات والتحركات الكمية في المجال السياسي والاجتماعي ... الخ. وفقط يكون الشعار تحريكيا ومحولا اذا كان يمثل النفي لما هو قائم ، بحيث يكون هذا النفي هو النفي المنتظر والمطلوب والذي لا يعجز عن توليد ( النتيجة المركبة ) . ولذا فشعار ( الهجوم على اسرائيل ) تقتضيه طبيعة وضعنا القومي كمسلوبين ، ولكنه يظل شعارا انفعاليا ان لم تتهيأ له كل الامكانيات العربية بحيث تصر نفس الامكانيات تلك على الشعار . هذا الشعار مثلا هو شعار طبيعي ولكن طبيعيته مرهونة بالامكانية المسلحة والتخطيط الثوري . ولكن لنأت الآن على شعار آخر لا طبيعي تماما هو شعار ( الاشتراكية في اليمن مثلا ) هذا الشعار قد يكون شعارا مستقبليا ولكنه ليس آنيا على الاطلاق . لماذا ؟ لان ظروف المجتمع اليماني البدائية ( التقسيمات والتقاليد القبلية الحصينة ) تجعل من السخف الظن بأن اليمن انتقلت الى (الاشتراكية) بقدرة قادر على اثر حركة عسكرية . وان النقلة السريعة والسحرية من مجتمع عبودي الى مجتمع اشتراكي هي امر غير وارد ابدا . المهم ان الشعار ـ اي شعار ـ هو انبثاق عن تعارضات مدركة بوضوح بحيث يقدم الجواب المنتظر علميا بدون قفز على العلم والاستقراءات التاريخية الجدلية . ولذا فان ازمة اغلب الحركات القومية العربية هي ازمة شعارات .

ثانيا : الشعار المرفوع يعتمد ميعاده الزمني بدقة سياسية وتأريخية . وهذا الميعاد الزمني مرتبط تماما بمراحل ودرجات العمل الثوري فلا يجوز رفع شعار بالمهمة الثانية في حين ان المهمة الاولى لم تنجز . والذي يقف بينه وبين التلة جدول لا يستطيع ان يرفع شعار كيفية صعود التلة بل عليه اولا ان يعبر الجدول . ولهذا فتنظيم الشعارات هو على سياسي من ناحية المرحلة التاريخية وظروف العمل المستجدة والعوائق القائمة وامكانية دعاة الشعار انفسهم. وبذا يكون ترتيب الشعارات بضبط واع مسألة الزامية تماما في عالم النضال . ولذا فشعار ( جبهة عربية واحدة ضد العدو ) لا تتوفر له مستلزمات الفاعلية ما لم يتم انجاز الشعار الذي يسبقه وهو شعار

( الجبهة الداخلية ) ـ في كل قطر عربي طبعا ـ .

ثالثا : وهذا الميعاد الزمني للشعار يأخذ اهميته القصوى في حالتين ايضا يتمثل فيهما عدم التوقيت . الحالة الاولى عندما يرفع الشعار بعد انتهاء مرحلته الموجبة كان ترفع فئة سياسية مثلا وباصرار شعار ( تطبيق الاصلاح الزراعي ) في بلد يتم فيه مثلا هذا التطبيق . هنا يفقد الشعار اهميته ويكون اجترارا تافها وانسحابا وراء الاحداث لذا فالقوة السياسية التي تطرح شعارا لا داعي له ـ حيث هناك من هو جاد في انجازه فعلا ـ هي قوة متخلفة وهزيلة لا تستطيع بأي حال ان تكون طليعية ومهما ادعت ذلك . وهذه الشعارات وما يقاربها ـ اعتدالا ـ ( علاوة على ان الصمت هو نفسه شعار متخلف ) هي الشعارات التي تمثل العقلية اليمينية ) المنحرفة .

اما الحالة الثانية فهي عندما يرفع الشعار قبل مرحلته الزمنية الضرورية بفترة من الزمن . ( انوه بأن الميعاد الزمني في البندين الثاني والثالث هو مزيج الزمن والحدث والامكانية ) . كأن يرفع شعار ( القتال المسلح ) في حين أن القوة التي ترفع الشعار لا تمتلك سلاحا. او كأن يرفع شعار ( ضرب اسرائيل فورا ) في حين لم تستكمل شروط الوحدة الهجومية ( مثلا ) . ومثل هذه الشعارات السابقة لساعة النضج هي دليل ( العقلية المنطرفة انحرافا الى اقصى اليسار ) . وباستطاعتنا أن نترصد الشعارات اليسارية غير المنحرفة عبر الوعي الايديولوجي المتكامل عقائديا والذي تنبثق منه شعارات ثورية رائعة ( مثل : العمل الفدائي ، والمجابهة الصلدة للصهاينة ، والانجازات الثورية الداخلية ، والمواقف العالمية الايجابية ... الخ. ) فمثل هذه الشعارات وليدة القدرة النضالية والايمان العقائدي لذلك فهي ليست وقتية او مراوغة او استلابية القصد منها ابتزاز الوعي الجماهيري .

رابعا : الشعارات تأخذ اشكالا عديدة فهناك شعارات وقتية وشعارات مرحلية وشعارات كبرى ، فمنها ما يقتصر على مدى قريب ومحدود ومنها ما يشمل مدى ابعد واوسع . لذلك ينبغي انتظام تلك الشعارات بوحدة متكاملة متناغمة بحيث تكون الشعارات الآنية وذات المدى القريب مرتبطة بالشعارات الكبرى كروافد لها . وعندما تنفقد العلاقة العضوية والحركية بين الشعارات المرحلية وبين الشعارات الكبرى ( الشمولية ) في حركة سياسية معينة ينتاب هذه الحركة فقر يعرضها الى تمزقات حادة . وكم من المجاميع السياسية ذات الرصيد الجماهيري المحترم وقعت صريعة ارتباك وفوضى شعاراتها فوقعت في انتكاس عزلها عن شروطها التأريخية فاضطرت للاستسلام او لجأت لوسائل ميكافيللية او ارهابية عدمية . والشعارات الشمولية غالبا ما تكون مثالية نوعا ما لانها تبتدىء من تطلعات خيالية تستعين بالعلم بقدر محدود ولذلك فهي لا تعني شيئا بالنسبة للجماهير التي تنظر برؤية صادقة الى المواقف المعاشة والشعارات الوقتية ومدى تطبيقها . ونظرة بسيطة تكفي لتوضيح ان ( الاشتراكية ) هي شعار كل القوى السياسية القومية والوطنية والديمقراطية تقريبا . ولكن هذا الشعار بهذه الكيفية الشمولية والاطلاقية يعني ان لا اشتراكية هنالك ما لم يقدم الدليل الثوري تلو الدليل مؤكدا للجماهير ـ عبر الشعارات الوقتية والمرحلية المتطورة ـ الجدية في الدعوة الاشتراكية .

خامسا : حيث ان الحركات الثورية تمتاز بكونها تمتلك الرؤيه الكاشفة التي تختار طريقها عبر آلاف التشابكات ، فهي حركات لا تعيش حالة سكونية طارئة ابدا . ان مسيرتها الحيوية تجعلها في تلاحم ضد شروط الاعاقة وعناق مع شروط النمو . ومن هنا ومن خلال الممارسة الفعالة تبرز الشعارات بنوعين : فهناك شعاراتها الستراتيجية وهي الشعارات التي لا تمس بعد اقرار صيغتها . وهذه الشعارات ترتبط بالبعد المرحلي الاكثر مدى وهي على العموم صدى وعلامات تحدد الطريق الثوري وبدونها تبدو كل التحركات والافعال عشواء وغبية . وهناك الشعارات التاكتيكية وهذه الشعارات تحدد الاسلوب الثوري وتضمن اذلال الوسيلة للامكانية . والحركة العربية الثورية وبحكم الظروف التي استجدت بعد النكسة بحاجة ماسة الى الشعارات التكتيكية لان هذه الشعارات تحقق اولا انضاج الوعي واكتمال التدريب والاستعداد للمواجهة الحاسمة . وثانيا تشاغل الاعداء وتضعفهم في مجالات متعددة وتحرم رؤيتهم من اكتشاف ما يجري في عالمنا العربي.

سادسا : حيث ان الشعار لا يجتاز الواقع الا اذا كان منطلقا من فهم رصين للواقع نفسه فان الحركة السياسية الصحية لا تتخلى عن شعاراتها بسهولة . ان صلابة الشعار هو دليل سلامة الرؤية ودليل حصانة وقوة تلك الحركة . هذا من جهة ومن جهة اخرى فان المرونة في تبديل الشعارات في حالة عدم تكافؤها مع المرحلة والظروف القائمة او المستجدة دون اصرار على تبني الشعار الكسيح وغير المجدي هو نفسه دليل آخر على الصحة الروحية للحركة . والمبالغة في هاتين الجهتين هو ارتكاس . وهذا الارتكاس كثيرا ما عاشته القوى السياسية العربية ( في الداخل ) فالمبالغة في صلابة الشعار وعدم جواز تغييره بأي حال من الاحوال ومهما استجدت الظروف مما يميز الانحراف اليساري الذي اختار الشعار والنص قبل ان يتلمس طبيعة التبدلات في البنى الاجتماعية والسياسية . والمبالغة في تبديل الشعارات وتغييرها بكل بساطة وسرعة هو دليل القلق السياسي والانحراف اليميني الذي يسمح للظروف بتشكيله دون اي جهد ارادي وايجابي للتدخل في حركة ومسيرة الاشياء . ومن هذا الاساس قلنا ان اعلان الشعارات هو وبحد ذاته علم سياسي خطير لا يقدم عليه الا الكيميائيون السياسيون المزودون بالخبرة الواسعة .

والذي جاء ذكره الان حول طبيعة وخاصية الشعار ليس كاملا بل انه ناقص سلفا لان مسألة الشعار مسألة دقيقة تحتاج في رسمها الى وضع اليد على كثير من الاستنتاجات والمحصلات المنخرطة في دعم العمل الهادف ، كما وان الشعار نفسه ليس بحثا مدرسيا يقدم بهذا الشكل الموجز من حيث ان الشعار هو لغة سرية بين الطليعة والتأريخ تصادق عليها الجماهير من خلال الاسهامات العملية والنشاطات التي تترجم الشعار الى واقع فعلي محسوس .

ولكن هناك مسألة مهمة جدا تكتسب اهميتها من طبيعة التعقيدات السياسية الموجودة . ففي الوقت الذي تحدثنا الصهيونية بقوى موحدة توحيدا كاملا بحيث تكبدنا خسائر فادحة ، بقيت القوى السياسية الداخلية ترفع شعار الاتحادات الجبهوية دون ان تقدم شيئا فعليا في ذلك . أوليس شعار الجميع هو المواجهة الموحدة ضد الصهاينة والامبرياليين ؟ اذن فلماذا لا نحس ببوادر هذا التوحد أو الاتحاد ـ والذي ينبغي ان يتم بدون قيد او شرط ـ بين الفئات السياسية ؟ اوليس من حق الجماهير العربية أن تتهم الاحزاب والاطراف السياسية وتدمغها بالادانة بعد الذي لاحظته منها ؟ وهل هناك من تهمة اصدق من تهمة كون كل القوى والاطراف السياسية ليست في مستوى مهامها ان لم تكن تريد ان تجعل من القضية العربية الكبرى مجرد ميدان تستغله لنشاطها الفئوي ؟ ان الشعارات واحدة وان لم تكن واحدة ( من حيث الخلاف في البداية وفي التكتيك ) فهي لا بد ان تلتقي حول نواة شعارية تحوز الاهتمامات السياسية الى فلكها . فالشعار يقتدر على دمج الكثير من الفئات ويعطي الفرصة للمتأخر ان يلتحق وللمتقدم ان ينتظر ما دام على الساحل مرفأ واحد كلنا نروم الوصول اليه . ولكن الفاجع ان الشعارات ( الميالة لآخر درجات التركيز اصلا ) بدأت تتكاثر وتغزو الصحف والمجلات والنشرات فكأنها موضة الموسم . وعندما تكون المسألة بهذا الشكل : اي رفع شعارات بدون مسؤولية ثورية ، بل وبكل انفعالية او بقصر نظر وبدون تجربة سياسية عريقة ، فمعنى ذلك ان ثمة لعبة خطرة في الامر .

ان قضيتنا الراهنة قضية صمود شعبنا العربي ضد التحديات الاستعمارية والصهيونية تستوجب تركيز الشعارات نفسها بحيث تظل محصورة في تطلع ونشدان شعبنا لدوره ومكانته التحررية والتقدمية وازالته للسطو اللاتأريخي القائم . والقوى الطليعية مسؤولة عن هذه المهمة من خلال طريق واحد هو طريق العمل الثوري الموحد والفعال الذي يقطع الطريق امام كل الشعارات الزائفة والرنانة والمحتالة . واكيدا ان الحقيقة تطفي بشعاراتها على كل ما يرتسم في سماء العرب من علامات سوداء باغية !

العراق — **عزيز السيد جاسم**